



العدد ٦ ، المجلد ٢٨ — صفر ١٤٠٤ هـ

المشرق والمغرب ينهلون من ثنائه ، وتخرج على يده أئمة كبار منهم : الامام الشافعي ، والامام أبو عبيد القاسم وأسدي بن الفرات المغربي فاتح صقلية ، وصاحب المدونة الأولى في تاريخ الفقه المالكي لأن مدونته هي أصل مدونة سخون الشيرة . وكان محمد بن الحسن باراً بتلاميذه يتعهدهم بالرعاية المادية والمعنوية وخاصة الغرباء منهم : يروي لنا أسدي بن الفرات قال : كنت يوماً جالساً في حلقة محمد بن الحسن ، حتى صاح صائح الماء للسيل ، فقامت مبادراً فشربت من الماء ثم رجعت إلى الحلقة فقال لي محمد بن الحسن : يا مغربي شربت ماء السيل ؟ فقلت : أصلحك الله ، وأنا ابن سيل قال ثم انصرفت ، فلما كان الليل إذ بانسان يدق الباب فخرجت فإذا خادم محمد بن الحسن فقال : مولاي يقرأ عليك السلام ، ويقول لك ما علمت انك ابن سيل إلا في يومى هذا ، فخذ هذه النفقة فاستعن بها على حاجتك ثم رفع إلى صرة ثقيلة ، فقلت في نفسي هذه كلها دراهم فقرحت بها ، فلما دخلت منزلي فتحتها فإذا فيها ثمانون ديناراً .

وقد كلف محمد بن الحسن بقضاء الكوفة وهو كاره له غير راغب فيه ، وبعد وفاة أبي يوسف تولى قضاء القضاة ، ولكنه كان يتحين الفرص دائماً للهروب منه مقبلاً على ما يرغب فيه من الاشتغال بالفقه ورواية الموطأ للامام مالك لأن روايته من الروايات العالية للصحة والملازمة .

ومن المواقف التي تذكر للشياني والتي تدل على ورعه وتمسكه بالسنّة وإنه لا يهاب أحداً فيما يراه حقاً ، فقد ذكر أحد معاصريه قال : كنا مع محمد بن الحسن إذ أقبل الرشيد فقام إليه الناس كلهم إلا محمد بن الحسن . فسأله الرشيد : مالك لم تقم مع الناس .

قال : كرهت أن أخرج عن الطبقة التي جعلتني فيها . إنك أهلتني للعلم فكهرت

— (٤٥) —



الفقه الإسلامي

مواقف ورجال في القضاء الإسلامي محمد بن الحسن الشيباني

دكتور فواد عبد المنعم أحمد (قطر)

بعد محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني من أشهر تلاميذ الامام أبي حنيفة ، وكان له أثر كبير في نشر مذهبه ، وقد ولد محمد سنة اثنين وثلاثين ومائة بواسط ، من أب كان يشتغل جندياً وكان ثرياً ، حريصاً على تعليم ولده ، فقد انتقل به إلى الكوفة ، وكانت الكوفة وقتها زاخرة بكبار الفقهاء كآبي حنيفة ، والعلاء والحفاظ والأديب وقد تلمذ محمد في الفقه على أبي حنيفة وقد أثنى عليه الامام في مجالسه الأول عند ما لمس منه أن يشفع العلم بالعمل به وقال فيه : إن هذا الصبي يفلح إن شاء الله . وقد كان ، ثم بعد وفاة الامام أبي حنيفة تلمذ على أبي يوسف ، وقد استظهر محمد بن الحسن القرآن الكريم وعمره أربعة عشر عاماً وقيل إنه حفظه في أيام معدودات ويطلق ذلك بأنه كان يتمتع بعقلية حافظة وذكاء حاد وعقل تام .

وقد خلف له والده مبلغاً كبيراً أفق جله في طلب العلم والرحلة إليه ، فقد رحل إلى الأوزاعي عالم أهل الشام وسفيان بن عيينة في مكة ، وعبد الله بن المبارك في خراسان ، والامام مالك بن أنس في المدينة وسمع منه الموطأ ولازمه ثلاث سنوات ، كما درس تفسير القرآن وعى أحكامه ، وحفظ الكثير من سنن رسول الله ﷺ ، وتجلت في مصنفاته استفادته من طريقة أهل الرأي وطريقة الأوزاعي والامام مالك .

وقد اشتغل محمد بن الحسن بالتدريس ونبغ فيه وأنبل عليه طلبة العلم من

— (٤٤) —



مواقف و رجال في القضاء الاسلامى

أن أخرج منه إلى طبقة الخدمة و ابن عمك عليه السلام قال : « من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ معقده من النار » و إنه إنما أراد بذلك العلماء فمن قام بحق الخدمة و إعزاز الملك فهو هبة للعدو ، و من قعد و اتبع السنة التي عنكم أخذت فهو زين لكم .

فقال الرشيد : صدقت يا محمد .

و قد خلف محمد بن الحسن آثاراً علمية كثيرة من أهمها : كتاب الجامع الكبير ، ضمنه أهم المسائل في الفقه و قيل : إنه لم يؤلف في الاسلام مثله . و كتاب النير الكبير و هو يتضمن أحكام القانون الدولي في الاسلام في السلم و الحرب ، فيعرض لأحكام الأسارى و إسلام المشركين ، والأمان ، والرسل الذين يفدون إلى دار الاسلام من دار الحرب و الحصانات التي لهم ، و الغنائم و الصلح و التحكيم ، و المعاهدات و قضاها ، و جرائم الحرب ، و قد عد هارون الرشيد هذا الكتاب من مفاخر أيامه ، و قد حظى بعدة شروح من أهمها شرح السرخسي .

و إذ كان الغرب ينسب القانون الدولي العام إلى «بروسوسي الهولندي المتوفى ١٦٤٥م و يطلقون عليه أبا القانون الدولي فهو جهل منهم و وداً للحقيقة التي يعلمها كل باحث منصف من سبق الاسلام و فقهاء بأحكام القانون الدولي ، و من أجل ذلك أسست في غوتنجن بألمانيا جمعية للحقوق الدولية ضمت علماء القانون الدولي و المشتغلين به في مختلف البلاد ، يهدف التعريف بالشييان وإظهار آرائه في هذا الباب و نشر مؤلفاته المتعلقة بذلك ، و قد توفي محمد بن الحسن الشيباني - رحمه الله - في سنة تسع و ثمانين و مائة تاركاً من بعده علماً ينفع به و عملاً صالحاً دائماً يذكر له .

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين